سلسلة بحوث ومصادر عن حياة الإمام كاشف الغطاء (قده)

تصدر من مكتبة – العامة

ومدرسته – الدينية

(٥)

أساليب المقالة وتطويرها في الأدب العراقي الحديث والصحافة العراقية

الدكتور منير بكر التكريتي

جميع الحقوق محفوظة

مكتبة الإمام كاشف الغطاء العامة

ومدرسته - الدينية

النجف الاشرف - العراق

١٤٣٢هـ -٢٠١١ م

مكتبة الامام
مخطوطات الكاشف الغطاء العامة
النجف الاشرف - العراق

الدكتور
منير بكر
أستاذ الادب والصحافة
بكلية الآداب

أساليب المقالة وتطورها في الأدب العراقي الحديث والصحافة العراقية

الطبعة الاولى

ساعدت جامعة بغداد
في طبع هذا الكتاب

مطبعة الارشاد ـ بغداد
١٩٧٦

مكتبة الإمام
النجف الأشرف - العراق

محمد حسين آل كاشف انغطاء

« ١٢٩٥ هـ ـ ١٨٧٦م ـ ١٣٧٣هـ»

١

ميرته :ـ

هو الشيخ محمد حسين بن العلامة الشيخ علي بن محمد رضا النجفي، من قبيلة بني مالك المعروفة « بال علي » التي تعج مضاربها في ناحية الشامية في العراق • وبنو مالك ينتهي نسبهم الى مالك بن الحارث الاشتر التخمي[١] من خواص أصحاب أمير المؤمنين علي ، رضي الله عنه ، الذي كان المثل الصالح في خلقه واتجاهاته حيث يقول الامام في وصفه :

« لقد كان لي مثل ما كنت لرسول الله صلى الله عليه وسلم[٢] •

ولد كاتبنا في النجف الاشرف عام ١٢٩٥ هـ في بيت علم وأدب • وقد أرخ مولده في كتابه « جنة المأوى » حيث قال : « ولادتي في عام ١٢٩٥ هـ[٣] »

كما أرخ ولادته الشاعر المعروف موسى الطالقاني بقوله :

سرور به خص أهل الغري ... فعم المغارب والمشرقين

بمولد من فيه تم الهنا ... وقرت برؤيته كل عين[٤]

أما والده فكان يسكن في قرية من قرى محافظة الحلة اسمها «جناجي» هاجر منها ، الاب ، الى النجف الاشرف طلبا للعلم واستزادة من المعرفة

---

(١) راجع محمد حسين كاشف الغطاء ـ جنة المأوى ـ جمع وتعليق محمد علي القاضي الطباطبائي • مطبعة تبريز ، ايران سنة ١٣٨٠ هـ•

(٢) راجع طبقات اعلام الشيعة ج٢ ص ٢٤٨ـ٢٤٩ •

(٣) جنة المأوى ص ١٣ •

(٤) علي الخاقاني ، شعراء الغري جـ ٨ ص ٩٩ المطبعة الحيدرية في النجف عام ١٩٥٥ •

حتى عد فيما بعد مرجعا دينيا له مكانته ، يرجع اليه في أمهات المسائل الدينية والروحية .

وأسرة آل كاشف الغطاء[1] في النجف لها تاريخ حافل بالأمجاد ، معروفة بالتقى والورع جل أبنائها علماء أئمة . عرف والد المترجم له بالتقوى والصلاح وكان العلماء يتزاحمون على علمه وأدبه . واضطلع أولاده وبخاصة محمد حسين بالزعامة من بعده . في تلك البيئة البيتية ، والبيئة النجفية المعروفة التي ما تزال تتحف العراق بخيرة الشعراء والادباء ، وليس هذا غريبا اذا ما عرفنا مركز النجف الديني والأدبي ذلك المركز الذي ساعد على تكوينهم ونمو أدبهم وشهرتهم ، شب المولود « محمد حسين » منذ نعومة أظفاره على المطالعة والدرس برعاية أب عرف العلم وأهله ، والادب وفنونه فأخذ الابن بدراسة مقدمات العلوم من نحو ، وصرف ، ومنطق ، وأصول دين وما اليها .

يقول صاحب شعراء الغري : « نشأ على أبيه فقرأ مقدمات العلوم من نحو وصرف ومنطق ومعان وبيان ، وتوسع في طلب العلوم فقرأ كثيرا من العلوم التي ابتعد عن قراءتها كثير من أبناء العرب كالهيئة والفلك والحساب والحكمة والكلام ... »[2] .

وتعرف الفتى على أصول هذه العلوم اذ لاقت هوى من نفسه ، وانصرف بشغف الى العكوف على قراءة علوم الهيئة والكلام ، ثم لم يكتف بكل هذا بل توغل في دراسة الفقه والاصول على اساتذة عصره كالامام

---

(١) من شاء التعرف والاستزادة من تاريخ أسرة آل كاشف الغطاء فليرجع الى كتاب « العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية » ، للمترجم له ، ففيه ما يغني .

(٢) علي الخاقاني ، شعراء الغري ص ١٠ .

الخراساني ، والفقيه ملا رضا الهمداني ، والسيد محمد الاصفهاني والشيخ أحمد الشيرازي وغيرهم من مشاهير العلماء المتخصصين .

يقول محمد علي القاضي الطباطبائي عنه :

« نشأ في بيت طافح بالعلم والعلماء وعباقرة الفقه والاجتهاد ، نشأ نشأة طيبة وربي في حجر الفطاحل بالسؤدد والعزة والشرف . ولما بلغ العاشرة شرع بدراسة علوم العربية .. ثم درس الرياضيات وبرع في الآداب حتى صار أستاذا ماهرا في النظم والنثر .[1] وما أن أتم دراسة الآداب والعلوم العربية اضافة الى العلوم الدينية التي أخذ في دراستها ، والاحاطة بجميعها حتى استقامت له ثروة ضخمة في شتى العلوم مما هيأه للتدريس في المساجد آونة وفي بيته آونة أخرى . وكان يتحلق على مدرسته فضلاء القوم وطلاب المعرفة وقد عرف عنه ـ رحمه الله ـ انه كان فقيها ، قوي الحجة والبرهان ، مجتهدا لا مقلدا ، حرا في آرائه المتنزعة من ذوقه العربي السليم المبني على فهم أصول الدين ، والقائم على التثبت من نصوص الاخبار والروايات التي نقلها الاثبات تلك التي يزخر بها المذهب الجعفري الاصيل!! فكان بحق مثار اعجاب الكتاب والأدباء والفقهاء في البلاد العربية خاصة والعالم الاسلامي عامة . من ذلك ما أبداه من آراء جريئة وصريحة للبعثة المصرية المؤلفة من المرحوم « احمد امين » وجماعته وزيارتهم له في النجف الاشرف في الحادي والعشرين من رمضان المكرم عام ١٣٤٩ هـ وما دار من جدل ومناقشات وحوار[2] .

ومن الجدير هنا أن نسجل مقتطفات من تلك المناقشات ، فقداستهلها

---

(١) جنة المأوى ص ١٨ .

(٢) راجع مجلة العرفان المجلد ١١ ج٣ ص ٣٠ ، وجنة المأوى للمترجم له ص ٢٨ .

سماحته مخاطبا مؤلف فجر الاسلام بمقطوعة من الشعر يذكره وزملاءه بزيارته لمصر منذ زمان جاء فيها :

تبـزغ شمس العلى ولكـن من أفقهـا ذاك البـزوغ
ومثلمـا تنبغ البرايـا كـذا لبلدانهـا نبـوغ
اكثر شيء يروج فيها اللهـو والزهو و «النزوع»

فضحكوا من كلمة « النزوع » !! وهنا خاطبه المرحوم أحمد أمين قائلا : فلم هذا يا سماحة الشيخ قبل عشرين سنة ؟.

فأجاب الشيخ : نعم وقبل أن ينبغ طه حسين ، ويبزغ سلامه موسى، ويبزغ فجر الاسلام ... الخ ».

ولعل رسالته المطبوعة التي عنونها ـ بـ « سؤال وجواب » تعطينا الصورة الواضحة لملامح تلك الآراء الحرة والأقوال المتزنة حيث تعد بحق جريئة الى أبعد حدود الجرأة وشجاعة متناهية في اعطاء الاحكام البناءة اذ ضمن هذه الآراء قصيدته المشهورة التي تمثل تجارب شعورية عاناها في مجتمعه فعبر عنها ، داعيا القوم الى نبذ التفريق بين الناس ، وان التساوي يجب أن يسود البشر ، مع القضاء على الحزازات ، متمثلا بالكتاب السماوي الجليل « كلكم لآدم وآدم من تراب » .

« لا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن » .

﴿ وجعلناكم شعوبا وقبائل لتتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ .

« قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى » .

ومعتمدا على السنة النبوية وأحاديث الرسول الأمين :

« لا فضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى » ، خير الناس من ينفع الناس » .

« انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق »

قال :

بنو آدم انا جميعا بنو أب لحفظ التآخي بيننا وبنو أم

عهدتكم شتى الحزازات بينكم وما بينكم غير التضارب بالوهم

ثم يستغرق في هذا الرأي الصائب ، فينعى على الأقوياء غطرستهم، والاغنياء زهوهم ، والحكام استبدادهم ، فيمعن في التأنيب بأسلوبه الجريء حيث يقول :

ومن آمن الناس من شره أآمن في ربه أم كفر[1]

وفوق هذا وذاك كان يدعو صراحة وفي كل المناسبات الى فتح باب الاجتهاد في أمور الدين لايمانه أن الاسلام انطلاق لا جمود ، وهو صالح للتطبيق في كل زمان ومكان ، فهناك أسس ثابتة لا تقبل التغيير قطعا ، والى جانبها أمور قابلة للاجتهاد في تطويرها من ذلك ما اهتم به وعنى بأمره من شئون الزواج فقد أصدر فتواه ، غير هياب ولا وجل ، بصحة الزواج بالعقد الدائم بالكتابة . بينما كان غيره من علماء الشيعة[2] وفقهائها لا يقر هذا الا عن طريق العقد المنقطع لا العقد الدائم .

ومن اجتهاداته كذلك : اباحته للغناء الرفيع لا الرخيص المجرد من الهوس والميوعة المخجلة باعتباره فنا له قيمته وتأثيراته في تربية النفس والسمو بها لأن دور الفنان المغني دور مهم في أمته وان أثره بحد ذاته هو الآخر

---

(١) علي الخاقاني ، شعراء الغري ج٨ ص ١١٤ .

(٢) راجع وحي الرافدين ، للمترجم له ج١ ص ٤٦ ، ٥٠ .

عمل وطني قال : الغناء حوار رافقته آلات الطرب الموسيقية للسمو والرفعة • ما لم يستخف الطرب بالسامع الى حد يخرج معه عن الكمال فهو اذ ذاك غير مشروع[1] • والمتمعن في كتابه « سؤال وجواب » يجد الكاتب قد أدخل على الفقه كثيرا من التطور وأوجد كثيرا من القواعد الهامة حيث زخر هذا الكتاب بالآراء النيرة المستندة على تفهم النصوص وتعليلها • ، لذا ليس من المبالغة في شيء اذا قلنا أن القوم كانوا يفزعون اليه في أمهات المسائل الدينية التي يستعصي حلها أو الاقتناع بها • ومع علمه الغزير وأدبه الجم كان متواضعا ، لذا نال اعجاب جمهور الطائفتين من السنة والشيعة وكان يعبر عن تواضعه بقوله : « أنا لا أدعي الكمال فهو لله وحده ولكني أقول : أنا أكمل من غيري ممن شاهدت ، لأنني طلبت العلم للعلم لا للزعامة ، وطلبه غيري للزعامة • فضعفت طاقته العلمية لانه خلط بتفكيره الايجابي أمرا سلبيا»[2] • كان مثال الفقيه الحر في كل ما أصدره من فتوى وما نبه اليه ، يناقش الآراء على لوحة البراهين ،والدليل المقنع ، يبني بحثه على كتاب « العروة الوثقى » لاستاذه « اليزدي »[3] لذا أعجب به تلاميذه ورواد أفكاره ومحبو علمه وأدبه• لان مذهب الشيخ كان مذهب الرجل المصلح والمفكر الذي أعطى التفكير النظري حقه ولكنه أخذ منه العقيدة الاسلامية خالصةمن شوائب الخرافة وعقبات الجمود التي تصدها عن التقدم وتقعد بها عن مسايرة الزمن والتأهب للحياة بأهبة العقل البصير والضمير الحر والكفاية الخلقية والمادية لمناهضة القوة الجامدة

---

(١) المصدر السابق •

(٢) علي الخاقاني شعراء الغري ص ١٠٣ (٣) نفس المصدر ج٨ ص ١١٨ •

بسلاح الحق والعلم وكان له في مذهبه هذا تلاميذ نهجوا منهجه في الاسلام والعقيدة وصلابة الرأي فكافحوا الجمود وخاصموا مع اساتذهم المتألبين عليهم من دعاة القديم ، وفئات المتصدين باسم الدين والمنتفعين باسم التقى والورع، ولو على حساب الوطن والدين فكان « من أعاظم فقهاء الشيعة المجددين ورائدا من رواد النهضة الحديثة ودعاة الاصلاح»[1] فقد وجد قراء علمه وعشاق أدبه ، صورة رائعة لأمام هو أولى أئمة عصره بأن يأتم به المقتدي فيما اضطلع به من صدق العقيدة وأمانة الفكر ، وشدة الاخلاص في كل ما يتصدر اليه الانسان ، القمين باسم الانسان ، من نية خالصة ونزاهة عمل في السر والعلن • وقد أرخ صاحبنا لهذه البدع المستوردة شاهرا قلمه للتنديد بتلك العادات التي تقام في العاشر من محرم من كل عام تخليدا لذكرى مقتل الحسين « عليه السلام » في «الطف» اذ جاهر الناس، وهو الصريح ، بمغبة تلك العادات المستهجنة ، والتقاليد البالية لأن نفسه ضاقت تجاه كل ما يجري من الاعمال اللاانسانية المتلبسة بلباس الدين والتي فيها من الشذوذ انشيء الكثير من ذلك قوله : « ان في صدري لعلما جما أخشى أن أبوح به من الشياطين الذين يوجهون العوام وفق مقاصدهم»•[2] كان يرى ـ رحمه الله ـ وجوب رعاية هذا الوطن والمحافظة على الفة ابنائه ، والقضاء على التفرقة الطائفية التي انتهجها كل من استعمر العراق ، فقد حارب دعاة البدع ورهبنة الدين الذين رسخوا تلك الضلالات في عقول السذج من الناس من شق الجيوب ولطم الخدود والاساءة الى الجسد بالسلاسل والقضبان غير أن دعوته هذه لاقت صلابة من أعدائه وخصومه الذين اعتموا العمامات واعتادوا حمل السبح الطويلة ينقرونها كما تنقر الديكة الحبه كما يقول الدكتور طه حسين • لأن دعوته هذه تقضي على

---

(١) طبقات أعلام الشيعة ج٢ ص ٢٤٨ـ٢٤٩ •

(٢) شعراء الغري ص ١١٧ •

أرباحهم الوفيرة التي يقتنصونها من الدين لكسب مغنم وجر مال عريض فعمدوا على استعداء البسطاء عليه والطعن بدعوته وسلامة مقصده ونبل غايته ، أقول حاربوه حربا استمرت زمنا طويلا فكانوا يقتنصون من خطبه ومقالاته فقرات يخرجونها تخريجات وفق أهوائهم ليدللوا على سوء قصد، من ذلك خطبته التي ألقاها في مسجد الكوفة تحت عنوان « الاتحاد والاقتصاد » جاء في بعض فقراتها قوله : « دينارك كدمك فاجر دمك في عروقك ... » ليسمموا أفكار السذج ويهيجون العوام لكنه ظل دائبا في جهاده ولم يأبه لتقولاتهم لكنهم اتعبوه . اسمعه يخاطبهم صارخا حيث يقول: « ان ما أشاهده ليؤكده لي ما يقصه التاريخ من شذوذ وظلم من مناصرة البسطاء وخذلان العلماء ولست بأول قارورة»[1]، والغريب في الأمر أن كل قوة استعمارية دخلت العراق والوطن العربي حاولت بشكل أو آخر استغلال الدين لتأمين مصالحها وتفرقة ابنائه . فقد استعدت آونة أبناء السنة على أبناء الشيعة كما فعلت الدولة العثمانية ، أو استعداء أبناء السنة على أبناء الشيعة كما فعلت بريطانيا بالذات فكان الأمر لم يقف عند هذا الحد انما استغلت القومية على مستوى الأقطار العربية ، لضرب الدين . وهذا ما نلمسه في أيامنا هذه . فكان هذا الاستغلال عاملا في نخر المجتمع وتفكيك أواصره وبالتالي فصم عرى التآخي والعمل المشترك بين البلاد العربية قاطبة ، مشرق عربي ، ومغرب عربي ، فراعنة وفينيقيون ، أقباط ومسلمون ، دروز وعلويون ... الخ .

كل تلك الأفكار التي تبناها رجال الدين الجامدون ، ودهاقنة السياسة المحترفون ، وقف الشيخ الغطاء تجاهها وقفة رجل صلد لا يلين ولا ينثني

---

(١) محمد حسين ، الخطب الأربع .

لتقولات خصوم والأعداء لايمانه انه يصارع باطلا وانه يروم حقا، هذه الفكرة الثاقبة في الواقع أفادت العقول السليمة المستنيرة فهزتهـا هـزا عنيفا ، حتى صحت على واقعها واعادت اليها الثقة بعقيدتها السمحاء ، كما أن الفكرة ذاتها رفعـت من طـريق الشعب عقبـات الجمـود والخرافـة والتقليد لانها نبهته ، الشعب ، الى ما استورد من بدع وما استجد من أوهام باسم الدين والعروبة ، والدين والعروبة منها براء .

اسمعه داعيا القوم الى الوئام والصفاء حيث يقول : « ... أولادي: أدعوكم بدعوة الحق .. الله الله ، يا عباد الله في اخوانكم ، وأهاليكم ، ونواميسكم ، فكلكم راع وكلكم مسئول ، والواجب من الله ، عز شأنه، على كل مسلم أن يسعى دائما في حفظ الالفة والامن والسكينة والطمأنينة.. وحرام تضارب الاهالي مع الجيش فان الجيش من الاهالي والاهالي من الجيش ... يا أبناء العراق برهنوا باستقامتكم ورزانتكم على كفـاءتكم واهليتكم وانكم صالحون مصلحون ... خذوها نصيحة من أب بار مشفق نسأله تعالى لكم السعادة والتوفيق جميعا والسلام..[1] .

هذه هي وقفاته فهو لم يقصر تفكيره على العقليات والالاهيات ، وانما كانت فلسفته اصلاحية نابعة من عقيدة الاسلام ومنهجه . وقد انتشرت دعوته هذه أوسع انتشار بين قراء وكتبه وسامعي خطبه وقارئي مقالاته . وفي النجف بالذات كانت مبادؤه تنفذ الى الفتية المتنورة وعقول الكبار من أنصار التطور والتجديد .

أما خصومه فقد حملوا عليه وعلى عشاق آرائه حملات التشهير لـم تنل من سمعته منالا يصرف الناس عن الاكتراث له والعزوف عن آرائـه

---

(١) محمد حسين كاشف الغطاء « محاورة الامـام المصلح » ج٢ ص ٤٣-٤٤ ، نجف عام ١٩٥٤ .

لذلك اسقط في يد أعدائه وخرفت تقولاتهم • ومما زاد في تألب خصومه، دعوته الى الوحدة الاسلامية فقد بلغ « الذروة وقل من زعماء الدين من تبنى الدعوة الى الوحدة الاسلامية بأسلوب عاش عقلية العصر • بدأها قبل نصف قرن بكتابه (الدين والاسلام) وقد لاقى من أجله المصاعب حتى اضطرت السلطات التركية الى اتلافه وضيقت الخناق على مؤلفه مما اضطر معها السفر الى البلاد العربية طلبا لحرية آرائه ومعتقداته»[1] •

وهناك عاوده الحنين الى طبع بنات أفكاره وآرائه التي ضمنها كتابه الذي اتلف ـ الدين والاسلام ـ فأعاد طبعه في صيدا بجزئين والف أيضا كتابه « المراجعات »[2] •

كما انه لم يفته الاشتراك في الحركة الوطنية مع بعض أحرار سورية كالشيخ احمد طبارة ، والشيخ احمد عارف الزين صاحب مجلة «العرفان» وعبدالغني العريسي ، بما نشر من مقالات وطنية تلهب الارض تحت أقدام المستعمرين وقصائد وطنية أججت الشعور الوطني وايقظت الحس القومي، ومجاهرته بالوحدة الاسلامية ، ثم قصد مصر انتجاعا للعلم متصلا بأعلامها مناقشا علماءها وخاصة علماء الازهر ومشايخه كما انه ألمته نوادي التبشير المنتشرة هناك فأودع آلامه وآراءه هذه كتابه « التوضيح » وبعد سفرة تقرب من سنتين قفل راجعا الى بغداد منقطعا الى التدريس في مدرسته ، وفي الصحن الشريف يؤمهما طلاب المعرفة وما أن أطل العشرون والمدن داعيا المسلمين الى التمسك بالدين الاسلامي الحنيف بلغة فارسية من تموز « عام ١٩٣٣ » حتى يمم وجهه نحو ايران متجولا في القرى والمدن داعيا المسلمين الى التمسك بالدين الاسلامي بلغة فارسية أتقنها الرجل منذ صباه ثم الف فيها كتبا كثيرة مما حدا بالشاه رضا بهلوي الى كسب وده والتعرف على شخصيته ، ولشغف كاتبنا باستطلاع آراء

(١) شعراء الغري ص ١١٢ •
(٢) جنة المأوى ص ٤٥ •

الفقهاء وعلماء الدين في الدول الاسلامية قصد كراجي عام ١٩٥٢ لحضور علماء المؤتمر الاسلامي • وقد لقي حفاوة من لدن حكومة باكستان ، وأكرم بما يناسب علم الرجل وأدبه ، واستلب اعجاب المسلمين هناك وسحر عقولهم بما ألقى من خطب تدعو الى تكاتف المسلمين شرقا وغربا والرجوع الى صلب الدين وسنة رسوله •

ومما هو جدير بالملاحظة ان المترجم له يعد في الطليعة من أدباء النجف ، وبذلك اضاف الى منزلته الدينية منزلة ادبية ، وشعره يعد في الذروة يزخر بالعواطف الانسانية والقيم الخلقية والمواقف الوطنية •وقد ضمت جميع أشعاره بديوانه • ونقتطف هنا جزءا من قصيدته في وصف قرية « كرند »[1] مصورا احساساته وتجاربه النفسية بصور موحية • وقد اهاجت ذكرياته عين ماء فوّاره جلس قربها أثارت خياله فعبرت عن خواطر دفينة في تأملاته وحياته •

قال :

يدهش اللب من « كرند » رجال مثل قلب البخيل جلمود صخره
غير ان العيون منها جوار وعيون البخيل لم تند قطره
كم دروس منها استفدت فكانت فكرة ثم عبرة ثم عبرة
يا جبال الاجيال والدهر يعدو للفنا وهي في البقا مستقرة
وقفت والزمان يمشي عليها راكضا وهي في العلا مشمخرة

* * *

يا بديع الجمال في كل قلب زر ذك الجمال أودع جمره
قد سقتنا تلك الشمائل كأسا فسكرنا ولم نذق قط خمرة

---

(١) قرية ايرانية •

ان هذا الوجود بحر ولكن أين من في الوجود يسبر قعره[1]

استمر كاتبنا في جهاده الديني ، ومع هذا وذاك لم يشغله الدين والتأليف عن الدفاع عن الوطن اذ انتظم في صفوف المجاهدين العراقيين في جبهة الكوت[2] عام ١٩١٦ مع أخوانه في الدين العثمانيين ضد الانكليز لكن الحملة اخفقت فقفل راجعا الى مدينته النجف عاكفا على التأليف والتحقيق ، وما أن أطل عام ١٩٢١م وهو العام الذي توج فيه الملك فيصل ، طلع الشيخ الغطاء على الشعب العراقي بخطبته ونصائحه ، ظنا منه ان فيصلا سيحقق رغبة ، ويؤمن حرية ، ويخرج مستعمرا ، تلك الآمال التي رنا اليها العراقيون وطال انتظارهم لها ، لكن أمال الشيخ خابت لأئتمار الملك وحاشيته بأوامر أسياده الانكليز فكان حصيلة الحكم الملكي الغرم للعراقيين والغنم للانكليز وملكهم فيصل الامين على مصالحهم ، ومما زاد في ألمه انه وجد الملك يسعي لاثخان الجراح وتعميق الخلاف بين السنة والشيعة ولم يستكن لهذا أو يلين بل جابه هذه الآراء والاعمال بخطب حماسية منبها القوم الى أخطارها ، داعيا الى تجنب كل ما من شأنه اثارة الخواطر ؟ فكانت هذه الخطب مثار اعجاب الناس ، وتناقلتها المحافل وشادت بها المجالس ...

بقي صاحبنا دؤوبا على العمل والاصلاح الى أن أقعده المرض وانهكه فأسلم روحه الطاهرة الى بارئه في شهر ذي القعده من عام ١٣٧٣ هـ» ووري التراب في مقبرة وادي السلام ، وهكذا طويت صفحة ناصعة ، مشرقة بالأعمال الجليلة والخدمات الاسلامية ، فقد جاهد باباء ، وأدى أمانة ، وحفظ رسالة ، فمات بشرف.

---

(١) الديوان ص ٥٠ ، الغريب في الامر انه فارق الحياة وأسلم أنفاسه الى بارئه بعد نظم هذه القصيدة بعشر ساعات .

(٢) الكوت مركز محافظة واسط .

٢

مقالاته السياسية والاجتماعية :ـ

ومع كل ما تقدم فللشيخ محمد الغطاء مقالات سياسية واجتماعية نشرها في الصحف واحتوتها مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة ، هي ثمرة علمه وأدبه ، ودليل ممارسته الطويلة • ففي السياسة : ادرك الشيخ بثاقب بصيرته ، وهو المعنى بالحركة القومية ، ان الحركة الدينية تبقى محدودة الأثر ما لم يتفهم الجمهور العراقي الحقائق القومية وقواعدها وأهدافها وذلك للعلاقة المتينة بين القومية والدين • فعمد الى توعية الجماهير وانتعريف بواقعها اذ أشهر قلمه وأوقف أدبه لمناهضة المستعمرين وركائزهم عن طريق كتاباته ومقالاته الصحفية الكثيرة والمتمعن في كتابه « محاورة الامام » مع السفيرين الانكليزي والامريكي بمناسبة زيارتهما لسماحته في النجف عام ١٩٥٤ ، يجد روحه الوطنية الصادقة ، ومحاوراته الهادفة التي كشفت الاعيب السياسة الانكليزية وربيبتها الامريكية :

قال مخاطبا السفير البريطاني تحت عنوان : المطالبة بالاستقلال[١] •

« ••• نعم اعطيتمونا الاستقلال ، ولكن الاستقلال الكاذب المزيف• ما تغيرت ولا تبدلت ، وانما تغيرت الألوان والأوضاع ، والصور والاشكال، والروح تلك الروح وبما يهبط عليها من الوحي والاشارة ، يعمل الجميع لحسابكم لأن الجميع من صنايعكم ، وقل من يخفى عليه هذا الحال ، أو يحسب أن هناك استقلالا أو أن في السويداء رجالا • هذا حال ما تسمونه بالاستقلال ، ونسميه بالمعنى الصحيح استذلالا•[٢] كان لهذه

---

(١) محمد حسين كاشف الغطاء ، « محاورة الامام »•

(٢) محاورة الامام ص ٢١ •

الصيحات المدوية أثرها الواضح على المستعمرين ومن سار في فلكهم من المحترفين كما انها نبهت الافكار الى التيارات الاستعمارية وأهدافها • فقد كشفت ألاعيب السياسة الاستعمارية الانكليزية في العراق وابان مقاصدها ، بأمثلة حية من واقع العراق ، وبتشبيهات أثرت في ابنائه : قال في مقاله تحت عنوان « حقيقة الاستعمار » :

« ولو كان الاستعمار يؤخذ بمعناه الصحيح[1] من الاعمار ورعاية مصالح البلاد وأهلها لهان علينا ، بل كنا نرحب به ، أما اذا كان بالضد من ذلك فنحن نبرأ منه ، ونكافحه بجميع قواته ،••• والاستعمار كاللص يدخل الدار فيأخذ ما فيها •• وصاحب الدار ينظر وليس لديه قوة المدافعة واذا صاح أو صرخ يجني على حياته •• انتم معاشر الانكليز تقولون نحن أصدقاؤكم اذن فالواجب علينا – معشر المسلمين – ألا نحدثكم الا بالصدق، وان نصارحكم بالحقائق ،••• واني لصريح ولا أحيد عن الصراحة في كل مقام •••[2] • انها لصراحة تدل على روح قومي أصيل ، آلمه الاستعمار وحيله ، واقض مضاجع ابناء قومه • وليس من المبالغة في شيء اذا قلنا ان مقالاته السياسية صورت لنا واقع عصره وواقع حياته ، ومكامن شخصيته ، اضافة الى أنه اعطانا صورة فنية أصيلة لحال الانكليز ومراوغاتهم • ولعل سياسة مقاومة الشيوعية في العراق توضح ذلك اذ تعمد الانكليز محاربة الشيوعية في العراق ، وتهويل امرها ، والمغالاة في الحادها • فسارت دعايتهم عن طريق أعوانهم « الشيوعية كفر والحاد » ، « الشيوعية عدوة الانسانية » ، « الدين أفيون الشعوب »••• الخ وهي خطة أحكمها ساسة

---

(١) من معاني الاستعمار : الاعمار والاستيطان •

(٢) محاورة الامام ص ٢١ •

الانكليز ، ليبقى العراق في عزلة عن الشرق حفظا لمصالحهم هم • فلنستمع الى كل هذا على لسان كاتبنا مبينا جلية الأمر في مقال تحت عنوان «محاورة السفير الانكليزي » جاء فيه :

« ••• ان الشيوعية لا يجدي في قمعها ومقاومتها القوة والشنق والاعدام ، فضلا عن السجون والتبعيد والتعقيب الشديد بل هي كحشائش الارض والزرع كلما حصدته تنمو جذوره ••• الشيوعية مبدأ ونظام وان كان مبدأ فاسدا ونظاما معوجا لا يقضي عليه الا المبدأ الصحيح والنظام الصالح••[1] ثم بعدها يفصل الكاتب علاقة هذا المبدأ ، الشيوعية ، في رأيه ، بالجهل والفقر والمرض ، ثم بين الطريقة السليمة في علاجها فيقول : « ••• الشيوعية وليدة المهلكات الثلاث الجهل والفقر والمرض•• كافحوا هذه الأدواء وعالجوها تموت جرثومة ذلك الداء قهرا ، عاملوا الناس بالصدق والرفق وأغرسوا جذور المحبة في قلوبهم بالاحسان اليهم والعطف عليهم تملكون مودتهم •••»[2]•

كان لهذه الصيحات وقعها على السفير وحكومته وعلى الشعب وتطلعاته • فكانت بحق محاورة فيها من الواقع اصالة ومن السياسة الانكليزية مراوغة لاستعداء فئة قومية على أخرى شيوعية لاثارة الخواطر بين الاخوان فكانت هذه المقالة سجلا لأعمال الانكليز تناقلتها المحافل وشادت بها المجالس لانها حقائق جلّها ابناء العراق وفي النهاية ساروا على هديها ! ومن الطرافة أن نذكر أن الانكليز اختلقوا كل المبررات لاضطهاد الاحرار المخلصين ليخلو لهم جو العراق فطورا شيوعية وتارة نازية وفي

---

(١) المصدر السابق ص ٢١ •
(٢) محاورة الامام ص ٢١ •

عن حرية الشعوب والسعي لتقدمها وسعادتها يقول : « ... اذن أيروق لك أيها العربي الغيور ذلك الوضع التعيس والعيش المخسيس ، وأن ينتهي بك الأمر الى مثل ذلك الحال ، فان الدولة التي تضطهد أبناء وطنها من الاولى ان لا تتورع عن اضطهاد أبناء الأقطار الاجنبية البعيدة ، ويكشف اضطهاد الزنوج في امريكا كذب مزاعم حكومة امريكا في الدفاع عن حرية الشعوب وفي السعي لتقدم الشعوب ورفاهيتها وسعادتها ...»[1] .

والكاتب في كل ما كتب عن الاستعمار أجاد اجادة تامة ، فكان يعقد المقارنات بين امريكا وانكلترا ليجد المفارقات والتناقضات لدى الاستعماريين لئلا تنطلي حيلهم على احد . وقد ظهر هذا المليا فيما كتب عن الاندلس الثانية « فلسطين » وما جرته سياسة امريكا وحليفتها انكلترا من ويل على العرب والمسلمين . فهي وثائق تدين الغرب الصليبيين المحدثين . قال مخاطبا السفير الانكليزي : « ... نحن معاشر العرب بل والمسلمين عموما ، وان كانت قلوبنا دامية منكم وقد طعنتمونا الطعنة النجلاء في الصميم ، وما أكثر طعناتكم لنا ! ... الطعنة طعنة فلسطين ...»[2] .

وبعد هذه المقدمة ينطلق مفصلا طباع الصهيونية عدوة الانسانية ، منبها السفير الى عظم خطورتها ـ الصهيونية ـ على الفضيلة والاخلاق والأسر والعائلات فلتستمع الى كل هذا حيث يقول : « ... لقد ابتلينا نحن وانتم بالعدو المشترك العنيد ، وليس هو عدونا وعدوكم فحسب بل عدو الانسانية ، عدو كل فضيلة ، عدو الحرية الشخصية والاجتماعية ... عدو كل فضيلة وكرامة ، هذا العدو الالد الذي يريد القضاء عليكم اولا ، وعلينا ثانيا بل يريد قلع جذور الفضائل والكرامات والاسر والعائلات ..

---

(١) المصدر السابق ص ٢٠ .

(٢) محاورة الامام ص ٤ـ٥ .

فالواجب يدعونا بشدة ان نبحث عن السبب ... ولكل معلول علة ، ولكل حادث سبب ، واذا توصلنا الى معرفة السبب ربما يسهل علينا علاج هذا الداء . واهتدينا الى أدواء هذا المرض الفتاك ...»[1]. هذا ما كان من أمر السفير الانكليزي . أما قصة السفير الامريكي حول المأساة نفسها «فلسطين» فقد عبر الكاتب فيها عن التناقضات السياسية والتصريحات الرسمية للدولتين بالذات ليدلل لشعبيهما وللعالم أجمع سوء انيات المبيتة للعرب والاتفاق الكامل على معادات العرب واقتطاع أرضهم المقدسة اذ مهد لحديثه هذا مع السفير تبيان الأسس التي تقوم عليها الشريعة الاسلاميه السمحاء ، التي جمعت كل القيم الانسانية والفضائل والمحامد ، من اكرام الضيف ومعاونة الغريب دون ما تمييز بين دين وآخر قال الشيخ : «...ان الشريعة الاسلامية الجامعة لجميع الفضائل تأمرنا باكرام الضيف ، وتحية الزائرين والترحيب بالغريب مهما كان دينه وعنصره ، عدوا كان أم صديقا ، ونحن تمسكا بهذه الآداب نحييك ونرحب بقدومك ...، وان كانت قلوبنا دامية منكم معاشر الامريكيين لانكم طعنتمونا بالصميم طعنة لا يمكن السكوت عنها والصبر عليها ....[2]» وبعد هذا ينتقل سماحته يشرح قضية فلسطين ومساعدة الامريكيين للصهيونية بكل امكاناتها وطاقاتها حيث يقول : « ... تعسا وبؤسا لهذه الرحمة- رحمة الصهيونيين- تتصرون المظلوم بما هو أفظع ظلما وأشد هضما ، ترحمونهم بأن تظلمونا وتسكنونهم في بيوتنا وتشردونا ... »[3]. ثم يختتم حديثه بعبارات تقطر دما وألما بما جناه استعمارهم وحلفاؤهم من غدر للعرب فكانت الضحية

---

(١) المصدر السابق ص ٥ .
(٢) المصدر نفسه ص ١٦ .
(٣) المصدر نفسه ص ١٧ .

أوطانهم . « ... ان استعماركم الغاشم وحلفاءكم هو الذي أرعب الناس .. فالقلوب كلها ضدكم وتقطر دما من فظاعة ضربتكم التي قصمتم بها ظهر العرب ...»[1] ومن الحق ان قضية فلسطين استحوذت على افكار الشيخ وشغلت باله لانها مصير دين ومصير أمة بكاملها ، فكانت ضربة اصابت الامة العربية فأفقدتها وعيها وصوابها ، كما انها أضعفت الامة الاسلامية كما يقول :

« ما أصيب العرب والامة الاسلامية بضربة أعمت عينها ، وقصمت ظهرها ، ومزقت شغاف قلبها كضربة فلسطين ، وأوجع وأفجع منها...»[2] هذا ما كان من أمر المستعمرين . أما أبناء العرب فقد وصفهم وصفا دقيقا بصور موحية ،لماقاموا به من التجاء الى هيئة الامم المتحدة ، وهي الشريكة في الجريمة بالذات ، يشتكون اليها ، محتجين غير خجلين من تكرار هذه اللهجة السخيفة « ... اما العرب فقابلوا كل هذه المظالم التي لا يصبر عليها حتى الحمار وفي المثل « أصبر من الحمار » يقابلونها بالاحتجاج الى هيئة الامم ويشتكون اليها وهي التي أوعزت الى اليهود بذلك تريد اشغال العرب .. حتى أخذوا القيمة الباردة وانتهزوا الفرصة النادرة ..اعتدى اليهود وقتلوا من العرب . ورفع العرب احتجاجهم الى هيئة الامن ... لا يخجلون من تكرار هذه اللهجة السخيفة بعد أن جربوا وعرفوا ان هيئة الامم ... تضحك على ذقونهم وتسخر من ضعف عقولهم ، وقرآنهم يقول : « فمن اعتدى عليكم فأعتدوا عليه بمثل اعتدى عليكم ... » لا أدري أشرا أريد بمن في الارض أم أراد بهم رشدا ... وما يدرينا

---

(١) المصدر السابق ص ١٨ .
(٢) نفس المصدر ص ٢٨-٢٩ .

فلعل الله يحدث بعد ذلك أمرا ويجعل بعد العسر يسرا»[1].

أما الحكومات العراقية المتعاقبة على دست الحكم فقد كان لقلمه فيها صولات وجولات وكان صلدا في كل ما كتب وحرر ، والملاحظ على هذه المقالات انه اختار لها عنوانات صريحة لا لف فيها ولا دوران فهو يسمي الأسماء بمسمياتها ويعطي المعاني ألفاظها • قال في مقالة له بعنوان : « جور الحكومات العراقية المتعاقبة» جاء فيه : « قولوا لهذه الوزارات التي تتعاقب على دست الحكم لا يستغلون نفوذهم السياسي فيتدخلوا في التجارة والاراضي ••• قولوا لهم يطهروا الجهاز الحكومي من هذه البلية ومن الشرذمة الفاسدة وذوي الاغراض الفاسدة ••• والجملة اصلحوا أنفسكم حتى يصلح شعبكم وتغلبوا عدوكم •[2] كان لهذه المقالات السياسية دورها الفعال للمطالبة باصلاح الحال ، فالكاتب رأى ولاة لا يصلحون حالا ولا يقومون معوجا ، وانما كانوا :

مستأجرين على خراب ديارهم ويكافؤن على الخراب رواتبا

كما يقول الجواهري • أوقف الشيخ مقالاته للدفاع عن حق شعب اغتصبه الغاصبون واستهتر به المستهترون • فقد اودع آراءه هذه مقالته المعنونة : « تذمر الشعب من سيرة الحكومة وسوء الادارة » جاء فيها :

« ليت شعري ، ولا أدري ، هل تجهل الحكومة العراقية حالة الشعب ، وتذمره الشديد ، ••• وسوء الوضع في جميع دوائرها •••ان الشعب قد تورم وتألم بأجمعه من سوء أعمال المسئولين ••• فقضايا الشرطة ورشواتهم ،وسوء تصرفاتهم ، ومقاسمتهم السرقات مع اللصوص والمجرمين،

---

(١) المصدر السابق ص ٢٨ـ٢٩

(٢) محارة الامام ص ٢٢٠

لم يحص هذا الوضع التعس قاموس بل ولا قواميس ... »[1] وطبيعته هذه وثورته السياسية ليست بنت ظروفها ينفعل لها ثم يكمن ، وانما من طبيعته الاساسية وطبيعة كل عراقي هي انه لا يستكين لحاكم جائر ولا ينصاع لظالم ، شعب يعشق الحرية ويقدسها ، ولنا من تاريخ العراق البعيد والقريب خير دليل ، لذا نراه يهيب بالعراقيين للمطالبة بحق مهضوم وحرية مكبوته قال : « ... قد تورم الشعب بأجمعه من سوء اعمال المسئولين بجميع طبقاتهم من رأس الوزارة الى أدنى ادارة حتى صار كالجرح الذي يتقيح ويوشك أن ينفجر[2]، كانت أكثر مقالاته السياسية لسان الامة الناطق وقلبها النابض ، فتارة يسخر سخرته اللاذعة من الحكومة ووزرائها وآونة أخرى ، بالالم والحسرة للمقادير التي جعلت من اولئك الساسة قادة لهذا الشعب في توجيه سياسته ، ومع كل هذا كان منصفا في أحكامه يعطي المخلص حقه ويثمن السياسي الامين مجهوده ، ويوخز السياسي المحترف وخزات تكون محل تندرات المجالس ومجال ضحكها واستهزائها .

قال مخاطبا رئيس الوزارة السابق ياسين الهاشمي :

« ... ليتك يا هاشمي تعود وترى الخمسة ملايين كيف صارت... والضرائب كما هي – في الدولة العثمانية – أو زادت ، والفقر والجوع أشد وأشد ، التي كانت على عهدك ، ولأن سياسة التفقير ، والتقتير في العراق كما هي لم تتغير ولم تتبدل...[3]، ثم يلتفت بعد هذا التفاتة منصفة بارعة في وصف وطنية الهاشمي وأصالته العربية مخاطبا اياه :

---

(١) محمد حسين آل كاشف الغطاء « المثل العليا في الاسلام لا يحمدون » .

(٢) محاورة الامام ص ٢٣ .

(٣) المصدر السابق ص ١٦ .

« ... ليت في المسئولين اليوم من يشعر بشعورك ويحمل وطنية مثل وطنيتك ، وهذه جملة بل شعلة قد توقدت في الصدور كاد يحترق بها القرطاس والقلم ، ولا نبالي بعد ، ان كانت من قلب الواقع وصميم الحق، وقلبه ، ان يرضى بها القوم أو يغضبوا ولكن ما في الحق مغضبة...»[1].

ولعل هذه الفقرات المقتطفة من احدى خطبه ، تجمل رأيه السياسي في الحكومة والشعب ، « فالحكومة غير حكيمة ، وشعوب ساقطة كالبهيمة، حكومة تتذمر من شعب ، وشعب يتذمر من حكومة فكيف تكون العاقبة...»[2].

رحم الله الغطاء فقد كان كاتبا سياسيا لامعا ، لم يتخلف عن معركة ولم ينفصل عن قضية .

أما مقالاته الاجتماعية :

فقد صورت أوضاع المجتمع العراقي بكل مساوئها وفي مختلف عهودها . فقد كان العراق مدة خضوعه للحكم العثماني « ١٦٣٨م ١٩١٧م» ، يعيش في شبه عزلة اجتماعية ، كان الناس فيه ، الا القليل منهم لا يعرفون عن الحضارة الحديثة وأحداث العالم الخارجي الا النزر اليسير »[3] وكان المجتمع العراقي في حالة من الانحطاط والتردي ، يعمه الجهل وتسيطر عليه الخرافات فسادت هذا العصر الفوضى وعمه الاضطراب واختلت القيم والموازين»[4]. عاصر الرجل بعضا من هذه الاحداث وعاصر

---

(١) المصدر السابق .
(٢) المصدر نفسه ص ٧٥ .
(٣) راجع علي الوردي طبيعة المجتمع العراقي ص ٣٣٩ بغداد ١٩٦٥م .
(٤) د. منير بكر ـ الصحافة العراقية واتجاهاتها ـ بغداد ١٩٦٨ ص ٢٧ .

اسدائا تلتها لكنه كان ابن عصره وان طابع حياته لازمه في تفكيره وعمله، فلم يعش في عصره بعقل أهل زمانه ولا عقلية الزمن الماضي ، وقد وجد في كل بيئة من بيئات العراق الشيء الكثير من التقليد اما من التجديد فلم يجد الا الشيء القليل النادر ومن استغلال الانسان لاخيه الانسان ما يندي له جبين الانسانية • قال مصورا الفلاح وفقره ، والكوخ وزاده : بجنب هذه الصورة المحزنة صورة الملك والابهة ، ورياش الدمقس والحرير ولباس الاستبرق والديباج:

« ••• نحن لا يعنينا الملك وقصوره وانما يعنينا كوخ الفلاح ،الفلاح الذي من كد يمينه وعرق جبينه وضرب مسحاته تشيد قصر الملك وقصر الكريمات[1] أيضا ، الفلاح يسكن بيوتا كالقبور ومن جهوده واتعابه تسكنون القصور ، يأكل الرذان[2] والدنان والشعير الاسود ، وتأكلون العنبر ، والدجاج وتلبسون الاستبرق والديباج ، وينام على التراب ، وتتقلبون على الدمقس والحرير ، هذا هو الذي في كل عام والى اليوم يغمر الماء زرعه وضرعه ويصبح فقيرا كما كان أو أشد فقرا»[3]•

الواقع أن الاساليب والعادات البالية التي ورثها العراقيون منذ أجيال بقيت تؤثر في المجتمع ، وما ظنك بمجتمع يحتقر الناسج والحائك ، وزراع الخضر وصياد السمك ويجلون الثري ويقدسون الاقطاعي[4]•

قال الغطاء : « ••• المهلكات الثلاث الجهل والفقر والمرض كافحوا هذه الادواء وعالجوها •••، عاملوا الناس بالصدق والرفق وأغرسوا جذور

---

(١) اسم أول قصر للملك فيصل بجانب الكرخ
(٢) الرديء الأسود •
(٣) محاورة الامام ص ١٣ •
(٤) د• منير بكر « الصحافة العراقية واتجاهاتها » ص ٣٢ •

المحبة في قلوبهم بالاحسان اليهم والعطف عليهم تملكون مودتهم ... وأمنوا مودتهم عالجوا سرطان الاقطاع الخبيث في جسم هذه الامة ... قولوا لهؤلاء الاقطاعيين العشرة ، أو العشرين في العراق :

تشكو صناديقكم ضيقا بثروتكم والناس يشكون من جوع ومن ضيق
تود أموالكم لو كنت خازنها حتى تحرر من أسر الصناديق[1]

لم يغادر الكاتب صغيرة ولا كبيرة في هذا المجتمع الا وأشبعها درسا، صابا جسام غضبه على مقترفيها : « قولوا لهم ـ الوزراء ـ يقطعوا دابر الرشوة من الموظفين ... هذه الأفة التي نشرت كل رذيلة ، ولم تبق لاكثرية الحاكم والمحكوم أية فضيلة . ضاعت فيها الحقوق والمقاييس والاخلاق ...»[2] ومع هذا الوضع المزري صور الكاتب انعدام الاحساس والشعور نحو الجماعة ، لان روح الجماعة ، كما هو معروف ـ لاتكون في أي مجتمع الا حيث تكون ثقة الناس بعضهم بالبعض الآخر أولا ، وثقة الناس بحكامهم ثانيا ، والحديث عنها في مثل هذه الاوضاع حديث بلاهة ، والحديث عن التضحية هي الاخرى حديث سخرية لان الحكم الفاسد قضى على روح الجماعة فأنقلبت المثل وشاع بين الموظفين حب المال وبأية طريقة وبأية وسيلة فأثر هذا في سلوكهم فتهالكوا على الرشاوي ومواخير الفجور » فكان لكل وظيفة سعر خاص وسماسرة معينة في المحطات والمستشفيات ... قولوا لهم يطهروا الجهاز الحكومي من هذه البلبلة ومن الشرذمة الفاسدة وذوي الاغراض الكاسدة ، وليطهروا البلاد من مواخير الخمور والفجور ، ويبسطوا العدل والمساواة بين جميع الطبقات ...»[3] وفي ختام مقالته هذه

---

(١) محاورة الامام ص ٢١ .
(٢) نفس المصدر ص ٢٢ .
(٣) نفس المصدر .

ينصح الحكومة بالعمل الجاد في تقدم الصناعة وتسهيل أمور الزراعة وتشغيل الايدي العاملة : « ويجتهدون في نشر الصناعة وتسهيل معدات الزراعة وتشغيل الايدي العاطلة ».

هذه هي الاصول الجذرية التي تقضي على الشيوعية لا الحبوس والمشانق والتعذيب والتعقيب وأمثالها ، فانها تزيد العلة ولا تبرد الغلة...»[1].

وقد أكثر من المقالات الاجتماعية ، وأجاد كل الاجادة في ابراز العلل من استغلال وجشع وما اليها :

« ... أما الاختلاسات والخيانات وفتح باب الرشوات على مصراعيه في الري والاشغال والاثار والاعاشة وغيرها فهو أمر مكشوف لا ستار عليه ولا أغطية وصار حديث المقاهي والاندية...»[2].

أما موافقة الاصلاحية من المرأة ومشاركتها الرجل فقد تحرر من أسار الجامدين ونعى عليهم حرمانهم المجتمع من عقول فعالة قد تفوق الرجل كفاءة وقابلية ومقدرة عقلية وفند أباطيلهم اذ كانوا يرونها أشبه بسلعة تباع وتشترى في سوق الزواج ، كما انهم نعتوها بأبشع النعوت والاوصاف وكانوا يخجلون حتى من ذكر اسمها ، واعتبروها عبئا ثقيلا يجب التخلص منها . لذا وقف الشيخ تجاه هذا الجمود بصلابة ودعا القوم الى التجديد ومسايرة الاحداث طلبا للتقدم ومشاركة الرجل في الدفاع عن الاوطان وسعيا وراء الاستقلال . « ... نقول للحرائر والنجيبات ... اننا نطلب منهن ... الشجاعة الادبية ، تتطلب منهن الثورة على الظلم

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المثل العليا ص ٢١ .

والظالمين ، وتتابع الصرخات على المستعمرين ، ومحاسبة المسئولين »[1].

وفوق كل هذا ذهب الى أبعد حدود التقدم فدعا النساء الى تأليف الجمعيات النسوية ، متأثرا بما بشر به الدين الحنيف فهو يريد : « ان يؤلفن الجمعيات ويتعاقدن ويتحالفن على نصرة المظلوم ومعاونة الضعيف ... وأعظم والزم ما عليهن انتشال المرأة من أوضار الفحشاء واضرار البغاء هذه الامور هي الجذور الاصلاحية التي يجدر أن تقوم بها الجمعيات النسوية»[2] .

ثم يحمل حملة شعواء على ما ألف الناس من عادات داعيا الى اقتلاع جذورها ، مستنهضا الرجال والنساء على مقاومتها لئلا يصاب المجتمع بالداء ويصعب الدواء .

و: « اذا لم ينهض لها الاكفاء من الرجال ويساعدوا النساء في مقاومتها وابادتها فالعاقبة وخيمة ... لأن من أسمى الأعمال الاساسية السعي الحثيث الى الاصلاح ، اصلاح من الرجال والنساء لهذه الناشئة...»[3].

وقد تجاوز هذا في كتاباته اذ طالب بحقوقها السياسية المهضومة ، لأنها حق طبيعي من حقوقها : « ... فمن الحقوق السياسية للرجال والنساء وعليهم جميعا ان يقفوا موقف المحاسب والمراقب من الحاكمين ، وموقف الناقم الثائر والمحارب الواتر من المستعمرين[4]» هذه هي خلاصة آرائه الاجتماعية وافكاره الاصلاحية النابعة من عقيدته الاسلامية ونهجه القويم ، قوامها اخلاق الفرد واخلاق المجموع ليصلح حال المجتمع ،ولن

---

(١) محاورة الامام ص ٧٥ .
(٢) نفس المصدر .
(٣) و(٤) نفس المصدر .

يتم هذا ، كما يرى ، الا بالعلم فهو أهم عامل في اصلاح الناس ، ومن أسباب القوة ، ومن أسباب المعرفة التي تبصر الانسان بأهم أدوات النجاح • لقد أدى الشيخ الغطاء رسالته الاصلاحية فكان صداها عاملا حافزا في اصلاح الحال وبذلك أدى امانة وقدم رسالة لوطن رعاه صغيرا واحتضنه كبيرا •

خصائصه اللفظية:-

٣

الشيخ محمد الغطاء من كبار علماء الشيعة المجتهدين له مؤلفات كثيرة وخطب عديدة ، واجوبة لا تحصى عن أسئلة يوجهها اليه المستفتون، وله الى جانب ذلك مختارات ادبية وشعر ، ومقالات مختلفة الاغراض ، متوعة الاهداف نشرها في الصحف والمجلات ، هي حصيلة علمه ، وأدبه ودليل ممارسته الطويلة • وهو في كل ما كتب وحاور لم يرم الا الاصلاح ولم يقصد الا النصح والارشاد والنقد البناء والتنبيه الى البدع والمفاسد وسوء الاوضاع • واذا القينا نظرة على عدد من هذه المقالات والكتب المؤلفة وجدناها تتسم بفصاحة اللفظ ، وغزارة المفردات ، وصحة التراكيب وسلامتها • وقد يميل الى ما يدل به على تفنن وصناعة بأن يزاوج بين الجمل ، أو يسجع أحيانا ، ولكنه لا يبالغ في ذلك لأن هدفه اهم من الصناعة اللفظية ، ولانه يهدف الى ايضاح المعنى وتبيين المراد ، ويقصد الى التعليم وافادة المخاطب ...، والمخاطبون جمهور واسع، ولا ينفع الجمهور الواسع الكلام المتكلف المعقد • لذا سادت كتاباته السلاسة في العبارة وعذوبة الحديث ووضوح الفكرة لكي تؤدي المقالة غرضها فخاطب العامي كما خاطب المثقف بألفاظ سهلة وأسلوب أخاذ ، لانه أراد توعية الجماهير، وتوجيهها نحو هدف تطمح اليه وغرض ترنو الى تحقيقه ، هذا الى أنه يطرق الموضوعات التي عرفها تمام المعرفة ، ومحصها كل التمحيص واقتنع

بها واصبحت جزءا من عقله وعقيدته • وهذه الموضوعات تكاد تكون فكرة من الفكر يقتنصها من الحوادث اليومية فيتأثر لها ثم يعبر عنها ليقدمها لقرائه مزودة بالادلة والحجج والبراهين ، متصلة اتصالا وثيقا بحياة المجتمع من أمور دينية وسياسية واجتماعية ، لتوجيه الرأي العام وايقاظه فكان : « قوي الحجة •• واسع الاطلاع •• فصيح القول يستحضر الأمثال العربية والكلمات المأثورة والحديث النبوي الشريف ••• يستحضر الوقائع التي مرت على الشعب العراقي فيبرزها للقاريء كأنها وقعت حديثا»[1] • ولاسلوبه الاخاذ وقوة حجته وسلامة تفكيره استطاع اخماد فتنة أشعل فتيلها « عبدالرزاق الحصان » عام ١٣٥١ هـ عندما أصدر كتابه « العروبة في الميزان » طعن فيه العلويين ووصف شيعتهم بانهم ساسانيون يجب طردهم من العراق ، ومجد الامويين ودولتهم مما أدى الى فتنة كادت تودي بالطائفتين من أبناء العراق الى ما لا تحمد عقباه • فقد هاج ابناء الشيعة وعم الاضراب مختلف العتبات المقدسة ، فما كان من الشيخ المصلح الا ان طلع على الناس بخطبه وبمقالاته داعيا القوم الى الاعتصام بالصبر والالتزام بضبط النفس والعفو عما سلف فانصاع الناس الى آرائه وتوجيهاته ، وساد الهدوء وانقطع دابر الفتنة[2] • وقد يفسر هذا ما نرى أحيانا في كلماته ومقالاته من حماسة وحرارة وعاطفة ، وتزداد نسبة هذه الحماسة عندما يمس الامر شأنا من شئون الاسلام أو العرب أو العراق، أو كان الشخص المقابل سياسيا أو مجادلا ومعاندا • وهو كثيرا ما يزين كلامه بآيات من القرآن الكريم أو احاديث الرسول « صلى الله عليه وسلم » ، وبحكم وعظات من كلام الائمة والعلماء المجتهدين وبحوادث من التاريخ الاسلامي ، وأبيات حكمية من الشعر العربي • ويمكن أن تكون

---

(١) علي الخاقاني ، شعراء الغري ج٨ ص ١١٣ •
(٢) راجع جنة المأوى ص ٥٢ •

من امثلة مقالاته تلك ، كلمة « المولد النبوي » وكلمة «مولد النبي الكريم» المحفوظتان في كتابه « جنة المأموي » وتعتبران أنموذجا كاملا للتعرف على اسلوبه المشرق اذا امتلأ بعناصر الادب الرفيع ونصاعة البيان واللباقة المدهشة فلا عجب في ذلك فهو « اشعر الشعراء وأخطب الخطباء • رب الفصاحة والبلاغة •• زعيم النهضة العلمية والادبية في العراق[1] •.

والمتصفح لكتاباته ومؤلفاته يجده ـ رحمه الله ـ يجمع بين الادب والسياسة والاجتماع ، وهي صفات يندر أن نجدها في رجال الدين ، فصرنا نسمع على لسانه نغمات الحرية ، والوطنية والشعب والاستقلال ، الوزراء واعمالهم ، سياستهم ومراوغاتهم اضافة الى النواحي الاجتماعية الاخرى التي تزخر بها كتبه من تحرير المرأة ومشاركتها الرجل ، وفقر ومرض كل ذلك بعنوانات تلتهب شجاعة وحماسة ، وموضوعات مقتنصة من مناسبات مختلفة ليتخذ منها عنوانا للتعبير عن رأي أو مناقشة ظاهرة من مظاهر المجتمع الكثيرة • يقول علي الخاقاني صاحب مجلة البيان النجفية: بأن له ـالغطاء ـ شخصية فذة يصعب على الزمن أن يأتي بمثلها فقد جمعت كثيرا من النواحي التي عز ان تجتمع في فقيه أو في زعيم ديني[2] •.

وخلاصة القول : ان كاتبنا منح قدرة المصلح ، وموهبة الاديب فاستطاع أن يتحرى الحقائق ، ويستقصي الادلة والشواهد ، وان يلتزم بالحيدة والانصاف في كل كلمة خطها ، والبعد عن التحيز والهوى في كل رأي جاهر به ودعا له ، اضافة الى ما يسبغه على تلك الموضوعات والأراء من الوحدة الموضوعية والصياغة الفنية فاستحق أن يكون بحق فقيها متحررا وكاتبا مجيدا وصحفيا لامعا ، تشهد له بذلك مؤلفاته التي بلغت التسعين

---

(١) أحسن الأثر ص ٢٠

(٢) شعراء الغري ج٨ ص ١١٥ •

والمترجمة الى عدة لغات وخطبه الكثيرة ومقالاته المتناثرة في الصحف والمجلات ، التي خلبت الالباب وحيرت العقول ، ونالت الاقبال[1] . وفي الختام نجمل خصائصه اللفظية بالنقاط التالية :

قوة الاسلوب ، وجزالة التعبير ، ومتانة اللغة

والعناية التامة بالموضوعات الدينية والفلسفية والفقهية خاصة ، والموضوعات السياسية والاجتماعية عامة .

والخاصة البارزة في كتاباته هي سمو القصد ، وشرف الهدف لتوحيد الصف وجمع الشمل .

والجدل والمناظرة والرد على الخصوم .

وسعة الاطلاع ، وعمق الفكر وأصالة الرأي .

وكثرة النتاج وضخامته وطول النفس مع الاحتفاظ بالقوة .

والاصالة والعمق ووحدة المستوى الجيد في التعبير

وأخيرا لا آخرا ، النزعة الخطابية ، والاسلوب المنطقي في الاحتجاج، وطغيان الاتجاه الفلسفي في التفكير والتعبير ، والاستدلالية في التمثيل .

مكتبة الامام
آل كاشف الغطاء العامة
النجف الاشرف - العراق

(١) للاطلاع على مؤلفاته المطبوعة ، والمخطوطة ، يراجع «محاورة الامام ، وشعراء الغري ج٨ ، وجنة المأوى .

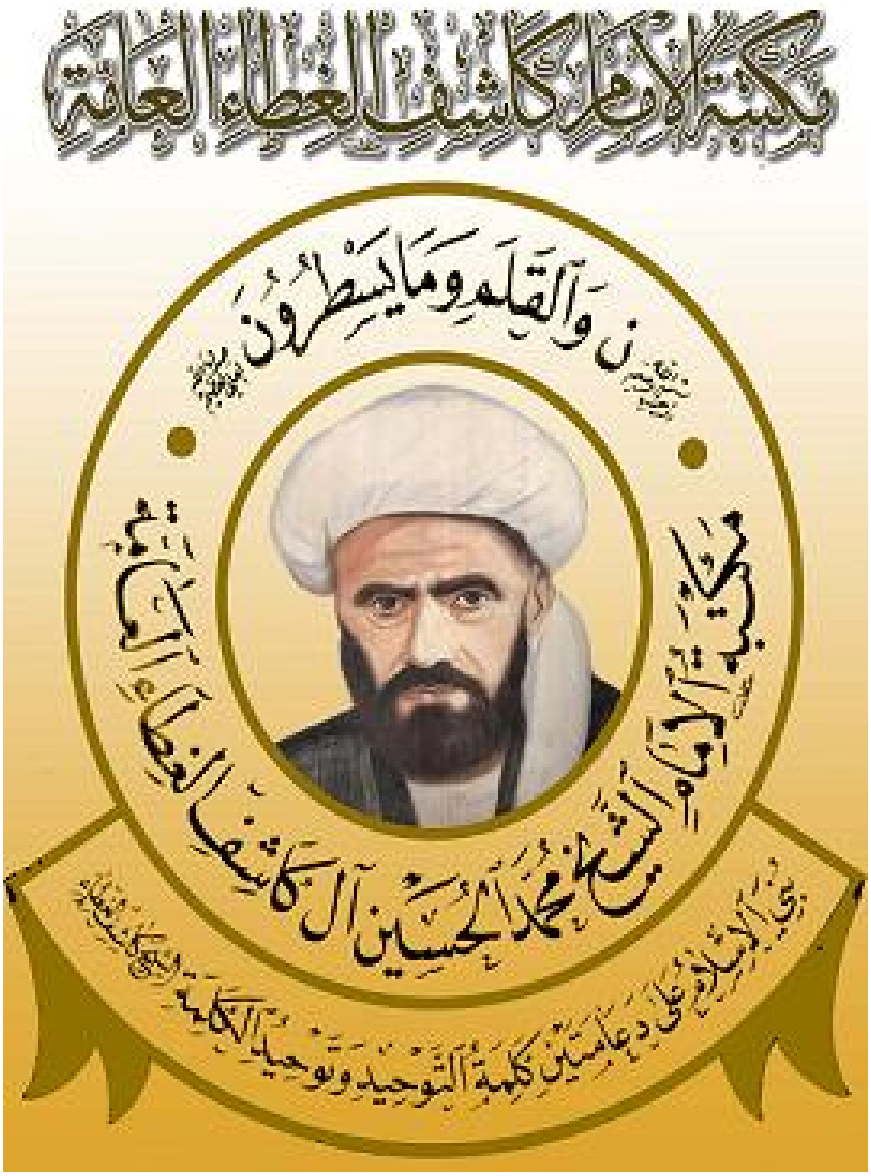

www.kashefalghtaa.com/site

info@kashefalghtaa.com

موبايل- ٠٧٨٠١٢٧٣٣٨٤ ارضي ٠٩٦٤-٠٣٣-٣٣٤١٤٤

النجف الاشرف- محلة العمارة- مجاور مدرسة الإمام الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء- الدينية ومجاور مسجد ومقبرة أل كاشف الغطاء(قده)